العلاقة بين المفرد والمثنى والجمع في القرآن الكريم

بەختيار عولا رشيد [١]

[١] قسم اللغة العربية، فاكلتي التربية، جامعة كويه، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

نجد في القرآن الكريم في مواضع عدة خطابات مختلفة في الآيات القرآنية وقد وقفنا عليها من خلال ستة مباحث ذكرت فيها جميع الخطابات المتنوعة بين المفرد والمثنى والجمع إذ جاء خطاب من الله سبحانه وتعالى بالمفرد والمراد به المثنى أو الجمع وخطاب بالمثنى والمراد به المفرد أو الجمع وخطاب بالجمع والمراد به المثنى أو المفرد. وما نلاحظ في هذه الآيات التنوع أيضا في توجيه الخطابات فمرة نجدها موجهة إلى الأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ومرة موجهة إلى المؤمنين ومرة موجهة إلى المشركين والكفار أو خطابات موجهة لبيان صورة من صور الدنيا أو الآخرة أو حالة أو موقف أو حكم شرعي كأداء الصلاة أو صفات المسلمين، أو الخوف والفرار أو كيفية خلق الإنسان والجن. والدراسة حاولت عرض تبريرات النحاة وتفسيرهم للآيات القرآنية التي فيها مخالفات عددية - فيما بين المفرد والمثنى والجمع في العدد والشخص والنوع- وإبراز اختلافاتهم في تبرير الظاهرة وتأويلاتهم للخروج عن المطابقة، سواء أكانت تلك التبريرات لغوية تنتمي إلى السياق اللغوي، أم غير لغوية تنتمي إلى السياق الخارجي الذي يعتمد على ظروف النص ومناسبته، من أحاديث مفسرة للنص أو ربط النص بما في الواقع الخارجي من أحداث، أو أحكام شرعية. ويحاول البحث تبيان الدوافع وراء تلك التبريرات والمنطق الذي يتحكم فيها، وربطها بالدراسات الحديثة والدراسات المقارنة على وجه الخصوص.

مفاتيح الكلمات: الاختلاف، الجمع، العلاقة، القرآن الكريم، المفرد

١. المقدمة

هذه الدراسة جاءت للكشف عن وعي دارسي القرآن بمخالفة النص القرآني للمطابقة العددية، وإبراز اختلافاتهم في تبرير الظاهرة وتأويلاتهم للخروج عن المطابقة، سواء أكانت تلك التبريرات لغوية تنتمي إلى السياق اللغوي، أم غير لغوية تنتمي إلى السياق الخارجي الذي يعتمد على ظروف النص ومناسبته، من أحاديث مفسرة للنص أو ربط النص بما في الواقع الخارجي من أحداث، أو أحكام شرعية. ويحاول البحث تبيان الدوافع وراء تلك التبريرات والمنطق الذي يتحكم فيها، وربطها بالدراسات الحديثة والدراسات المقارنة على وجه الخصوص.

وتحليل الآيات القرآنية لا يجوز قصره على الجانب الصرفي والنحوي بل يجب أن يتعدى ذلك إلى الجانبين الدلالي والسياقي، وإذا كان لكل لغة منطقها الخاص، فإننا يمكن أن نقول إن لكل نص منطقه الخاص، والنص القرآني له ظروفه الخاصة التي تطرح على الباحث فيه طريقة محددة للتناول، فهو نص لا يكفي فيه لأن نتبين دلالته من داخله بل لابد من مراعاة الظروف الخارجية التي تدخل بالتالي في سياق الحال أو المقام وتؤدي دورها الأكبر في كشف دلالة النص المدروسة التي هي في النهاية الهدف الأسمى للتحليل اللغوي.

٢. الخطاب بالمفرد عن المثنى:

لاحظ العلماء هذه الظاهرة في آيات عدة في النص القرآني ووقفوا عندها وقاموا بتحليلها، ومن هذه الآيات القرآنية:

قوله تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه:١١٧، حيث أن الله سبحانه وتعالى خاطب آدم بصيغة المفرد (فتشقى) ولم يقل (فتشقيا)، والمقصود آدم وحواء، لنرى أقول العلماء في هذا النوع من الخطاب القرآني:

"إذ يرى الطبري أن ذلك الخطاب له علاقة بالسياق القرآني حيث إنّ ابتداء الخطاب من الله كان لآدم، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة، الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أنّ حكمها في ذلك حكمه" (الطبري،٢٠٠١، ١٦/١٨٦)

وذهب الزمخشري في تفسير الآية إلى علة معنوية وهي أن في شقاء الرجل وهو قيّم أهله وأميرهم شقائهم، كما أن ضمان سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إلى آدم، أو أن المراد بالشقاء التعب في طلب القوت، وهو منوط بالرجل(الزمخشرى،١٩٧٢م،٢/٥٥٥). ويوافق هذا الرأي الزركشي اعتمادا على قول

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٣، العدد ٢ (٢٠٢٠)
أُستلم البحث في ١٤ حزيران ٢٠١٩؛ قُبل في ٩ كانون الثاني ٢٠٢٠
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ٣١ كانون الاول ٢٠٢٠
البريد الإلكتروني للمؤلف: bakhtiar.awla@koyauniversity.org
حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٠ **بەختيار عولا رشيد.** هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية -40 CC BY-NC-ND.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v3n2y2020.pp89-95

ابن عطية الذي يرى أنّه من الإغضاء عن ذكر المرأة، فمِن الكرم ستر الحرم (الزركشي،١٩٨٨م، ٢/٢٤١-٢٤٢).

وأشار العكبري في ذلك إلى مراعاة الفواصل القرآنية لذا أتى بالإفراد بعد التثنية لموافقة رؤوس الآيات. ولأن آدم عليه السلام هو المكتسب (العكبري، د.ت، ٩٠٦/٢).

ويرى النحاس أن ذلك يعود إلى المعنى بقوله: إن المعنى معنيٌّ، وإن آدم هو المخاطب والمقصود (النحاس، ١٩٨٥م، ٥٨/٣).

وقوله تعالى: (قال فمن ربّكما يا موسى)طه:٤٩، حيث إنّ الخطاب المفرد في (يا موسى) وقبلها موجهة لاثنين في لفظة (ربّكما).

يرى الفراء أن الكلام إنما يكون من الواحد لا من الجميع (الفراء، ١٨٠/٢).

وأشار الزركشي إلى وجهين: أولهما أنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف إذ كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات، والثاني: لما كان هارون أفصح لسانا منه على ما نطق به القرآن ثبت عن جواب الخصم الألدّ (الزركشي،١٩٨٨م، ٢-٢٤٠).

ويفسر القرطبي هذا النوع من الخطاب بأنه مراعاة لفواصل الآيات حيث انتهت بالألف اللينة؛ لذا أتى الله بموسى لأن في آخرها ألف اللين (القرطبي،١٩٨٩م، ٤٣٧٦).

وعلل الزمخشري ذلك بأن موسى هو الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه، أو أن فرعون يطلب الإجابة من موسى خاصة لأنه يعلم ما في لسانه من عجز.

وقوله تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين) البقرة:٤٥، حيث عُطفَت (الصلاة) على (الصبر) بالواو وعاد الضمير في(أنها) على أقربهما وهو(الصلاة). والعرب تقتصر على أحد هذين الاسمين، فأكثرُه: الذي يلي الفعل (الزمخشري،١٩٧٢م، ٥٣٩/٢)، قال عمرو بن امرئ القيس من الخزرج:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف (ديوان قيس بن الحطيم)

ويترك الأخفش الاختيار للمتكلم في اختيار عودة الضمير لأي واحد منهما. والقياس عنده إذ كان العطف بالواو أن نأتي بضمير المثنى فتقول: زيد وعمرو ذاهبان، وليس (ذاهب)، أما مع العطف بـ(أو) فإننا نخبر عن أحد الشيئين (الأخفش، ١٩٧٩م، ٨١/١).

وأجاز الزمخشري اعتمادا على السياق اللغوي أن يكون الضمير عائدا على جميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل، ونهو عنها، **من قوله تعالى: (اذكروا نعمتي) البقرة:٤٠** إلى (واستعينوا).

واستعان العكبري بسياق الحال والظروف الخارجية فأجاز أن يكون الضمير عائدا على القبلة، لدلالة الصلاة عليها، ولأن التحول إلى الكعبة كان شديدا على اليهود.

وقد جمع أبو حيان تلك الآراء، وأضاف إليها، وقال: إن عودة الضمير إل أقرب الاسمين الصلاة هي القاعدة التي لا تخالف إلا بدليل، ثم أضاف علة معنوية أخرى وهي أن الصلاة أهم ولهذا عاد الضمير عليها (أبو حيان،١٩٨٣م، ١٨٥/١).

وفي مثل ذلك **قوله تعالى:(والله ورسوله أحقُّ أن يُرضُوه بأن كانوا مؤمنين) التوبة:٦٢.** فإنه سبحانه لم يقل (يرضوهما) بصيغة المثنى بل أتى بها بصيغة المفرد.

وقد وقف الفراء عند ذلك وقال: "وحّد (يرضوه)، ولم يقل: يرضوهما؛ لأن المعنى والله أعلم بمنزلة قولك: ما شاء الله وشئت؛ إنما يقصد بالمشيئة قصد الثاني" (الفراء،١٩٨٠م، ٤٤٥/١)، وقال:" ما شاء الله، تعظيم الله مقدم قبل الأفاعيل، كما تقول لعبدك: قد أعْتَقَكَ الله وأَعْتَقْتُكَ" (الفراء، ١٩٨٠م، ٤٤٥/١). يبدو أنه على رأي الفراء يراد بالإرضاء الثاني وهو (الرسول) أما تقديم ذكر الله فهو للتعظيم فحسب. ويجوز عند الفراء أن يكون المعنى(يُرضُوهما) واكتفى بواحد (الفراء، ١٩٨٠م، ٤٤٥/١).

وذهب النحاس في ذلك إلى بيان رأيين الأول لسيبويه وهو أن التقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حذف وتابعه فيما بعد رسوله، والثاني رأي المبرد: أنه لا حذف في الكلام، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله، على التقديم والتأخير (النحاس،١٩٨٥م، ٢٢٤/٢). والهاء على مذهب سيبويه تعود على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعلى مذهب المبرد تعود على الله تعالى، وما عرضه النحاس مخالف لما جاء عند المبرد في المقتضب (المبرد،١٩٧٩م، ٧٢/٤، ١١٢).

واختار النحاس رأي سيبويه، ورفض قول الفراء لمانع دلالي من السياق الخارجي، وهو أنه قد صح عن النبي(ص) النهي عن أن يقال ما شاء الله وشئت، ورفض رأي المبرد لمانع نحوي وهو أنه لا يقدر في شيء تقديم ولا تأخير ومعناه صحيح (المبرد،١٩٧٩م، ٧٢/٤، ١١٢).

وحاول القرطبي بيان علة معنوية لنا وهي أن الله سبحانه جعل رضاه في رضى النبي(ص) فقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء: ٨٠ (القرطبي،١٩٨٩م، ٣١١٩/٤).

٣. الخطاب بالمثنى عن المفرد:

ومن ذلك **قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الرحمن١٩-٢٢،** فقد جاء الضمير العائد على التثنية (منهما)، واللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر المالح، وبذلك قال الفراء وأبو عبيدة (معاني القرآن، الفراء، ٢٤/٣- ١١٥) (أبو عبيدة، ١٩٦٢م، ١/ ١٥ – ٢١/ ٢٤٤).

واعترض النحاس على الفراء وأخذ بظاهر اللفظ، فقال إن (يخرج من البحر) في المستقبل، أو في المواضع التي يلتقي فيها الماء المالح والماء العذب، أو أن البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض، وأن اللؤلؤ والمرجان إنما يوجدان في الصدف إذا وقع المطر عليه (النحاس، ١٩٨٥م، ٤/ ٣٠٧)، وهي محاولة تأويلية لا تبرر الخروج من القاعدة وإنما ترفض الاعتراف بتلك المخالفة.

ويقترب الزمخشري بنا من التحليل الدلالي، فيجعل البحرين كأنهما شيء واحد، فيقول لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما قال، يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من المحلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره، وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب (الزمخشري،١٩٧٢م، ٤/ ٤٥).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد)ق ٢٤ وقد وقف الفراء عند الآية فقال إن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان، فيقولون للرجل: قوما عدا، وسمعت بعضهم يقول: ويحك ارحلاها وازجراها، ثم استشهد على ذلك بقول الشاعر :(الفراء، د.ت، ٢٢٤/٢).

فقلت لصاحبيَ لا تحبسانا بنزع أصوله واجتز شيحا (البيت لمضرس بن ربيعي في شرح شواهد لشافية ص ٤٨١).

موطن الشاهد: لفظة (لا تحبسانا) حيث خاطبت العرب الواحد بلفظ الاثنين

ويرى الزجاج أن الخطاب على مقتضى الظاهر، فهو خطاب للملكين، ثم يعرض قول الفراء، وقولاً ثالثاً للمبرد، وهو أن المقصود التوكيد، فـ (ألقيا) نابت عن ألق،

Original Article |DOI: https://doi.org/10.14500/kujhss.v3n2y2020.pp89-95

ويجيز القول بذلك أيضاً (معاني القرآن، ٥/٤٥- ٤٦)،وقال النحاس إن حُذاق البصريين يذكرون مخاطبة الواحد بخطاب الاثنين لأن به يقع الإشكال، وعلى ذلك اختار الزجاج أن يكون الخطاب للملكين، أما المبرد جعل التثنية للتوكيد (النحاس،١٩٧٣م،٩٨/١-٩٩)، وإذا كان التوكيد عند المبرد يأخذ شكل التكرار، فإنه قد يأتي من إبدال الألف في (ألقيا) من نون التوكيد، كما جاء ذلك في (لنسفعا بالناصية العلق ١٥)، و (وليكونا من الصاغرين) يوسف ٣٢(النحاس،١٩٧٣م،١٦-١٧)، ونحن لا نوافق معه ونعد من قراءة القراء، وقد وافق الزمخشري وغيره تلك الأقوال (الزمخشري، ١٩٧٢، ٤/٧-٨)

وإذا تأملنا السياق اللغوي حول هذه الآية نجد آية سابقة تتحدث عن السائق و الشهيد (جاءت كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيد) ق٢١، ثم (وقال قرينهُ هذا ما لديَ عتيد) ق٢٣، وتأتي الآية (ألقيا في جهنم كل كفارٍ عنيد) ق٢٤ واختلفوا في تفسير السائق والشهيد (تفسير القرطبي، ٩/ ٦٤١٣- ٦٤١٥)، ولكن من التفسيرات المحتملة أن يكونا ملكين، وأن الخطاب ب(ألقيا) لهما، و (قرين) في الآية السابقة قد تطلق على المفرد و المثنى والجمع (النحاس،١٩٨٥، ٤/ ٢٢٨٠٧)، كما يحتمل أن يكون الخطاب لخزنة النار، وهذا كله يجعل الخطاب مطابقاً لمقتضى الظاهر أو الاستعمال النمطي، ولا مخالفة في ذلك، ولا ضرورة للقول بالخروج عن ظاهر اللفظ (البحر المحيط، ٨/ ١٢٦).

ومثل ذلك **قوله تعالى (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يونس ٨٩**، فالداعي في الآية السابقة لهذه الآية إنما هو موسى وحده، وقال الفراء وغيره إن الدعوة نسبت إليهما، لأن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والمؤمن على الدعاء داعٍ أيضاً (الزجاج،١٩٨٨م، ٣١/٣) (أبو حيان، ١٩٨٣م، ٥/ ١٨٧).

وقال علي بن سليمان: إن الدعاء لهما جميعاً والدليل على ذلك قول موسى عليه السلام ربنا ولم يقل رب (النحاس،١٩٨٥م، ٢٦٧/٢)، وأجاز الزمخشري وأبو حيان القولين (الزمخشري،١٩٧٢م، ٢/ ٢٥٠-٢٥١) (أبو حيان،١٩٨٣م، ١٨٧/٥)، وأنكر أبو حيان القول بأنه خاطب الواحد بخطاب الاثنين، لأن الآية خاطبت الاثنين بعد ذلك (أبو حيان،١٩٨٣م، ٥/ ١٨٧) (فاستقيما ولا تتبعان).

وسياق الخطاب كان لموسى وهارون قبل الآية، وقد دعا موسى وحده، لكن هذه الدعوة لا ينكرها هارون سواء أدعا بها أم لم يدع، أو آمن كما أن الآية جعلت أمر الاثنين بالاستقامة، وهو امر لا يوجه إلى موسى وحده، وفي أقوالهم المختلفة مراعاة للمقام أو سياق الحال، ومثل ذلك **(نسيا حوتهما) الكهف ٦١** وفي سياق الآيات قول فتى موسى **(فإني نسيتُ الحوتَ) الكهف** ٦٣، فالناسي فتى موسى وحده (الفراء،١٩٨٠، ١/ ١٤٧).

٤. الخطاب بالجمع عن المفرد:

قال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) الزخرف ٣٢.

وقد نبه الزركشي منذ البداية أنه لا تشريكَ في ضمير الجمع هنا، وقال إن المبرد منع استعمال ضمير الجمع في واحدٍ من المخلوقين على حكم الاستلزام لأن في ذلك كِبراً، وهو مختص بالله سبحانه، وحكى عن الحريري في شرح الملحة أن بعضهم منع استعمال لفظة (نحن) مع غير الله لما فيها من التعظيم، وكذلك نون الجمع جاءت للعظمة يوصف بها سبحانه ولا ينازعه فيها مخلوق ويكره للملوك استعمالها، وقد استعملت في جانب الله تعالى لأن أقضيته تجرى على أيدي خلقه، فتنزلت أفعالهم منزلة فعله، فأما قول العالم (نحن نبين)، (نحن نشرح) فمفسوح له فيه، لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته (الزركشي،١٩٨٨، ٢/ ٢٣٦).

وما جاء عند الزركشي قال به الفراء في مثل **قول الله تعالى (بأعيننا وَوَحينا) هود ٣٧** (الفراء، د.ت، ١٣/٢)، وابن **جني في مثل (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) الإنسان ٢٨ (وضربنا لكم الأمثال) إبراهيم ٤٥ قال: ولو كانت (وضربت لكم الأمثال لم تبلغ في سمو اللفظ وتعاليه في قوله (ضربنا لكم)**، (ابن جني،١٩٦٩م، ١٦٤/١).

ويرى ابن فارس أن ذلك من سنن العرب، ولا يقصره على خطاب الله سبحانه (ابن فارس د.ت، ٢٥٣).

وكما يتحدث العظيم بالجمع فإنه يخاطب به أيضاً، وهذا ما خرجوا عليه **قوله تعالى (قال رب ارجعون) المؤمنون ٩٩**، فإذا كان ضمير الجمع قد جاء في التكلم في مثل (خلقناكم) وأمثالها في غير موضع من القرآن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (خلق، ٢٤٢)، ومن مثل **(وإنا لنحن نحيي ونميت) الحجر٢٣**، فقد جاءت مخاطبته سبحانه رداً على ما وصف به نفسه (الفراء، د.ت، ٢/ ٢٤١-٢٤٢) (النحاس،١٩٨٥م، ١٢٢/٣)، وتعظيماً له **في (قال رب ارجعون) المؤمنون٩٩**.

وقد استشهد الزمخشري وأبو حيان على هذا الاستعمال بقول الشاعر:

فإن شئت حرمتُ النساءَ سِواكم (الزمخشري،١٩٧٢م، ٤٣/٣)، (أبو حيان، ١٩٨٣م، ٤٢١/٦)

وللنجاة تخريج آخر هو أنه على معنى التذكير أي: ارجعوني أرجعوني (النحاس،١٩٨٥م، ١٢٢/٣)

وكما جاء في القرآن تعظيم الله، فقد جاء التعظيم للملوك الدنيا أيضاً فمن ذلك ما جاء في حديث موسى مع فرعون في **قول الله تعالى (ففررت منكم لما خفتكم) الشعراء٢١**، وقد علل الزمخشري ذلك بأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده، ولكن منه ومن مثله المؤتمرين بقتل موسى بدليل **(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوكَ) القصص٢٠**، أم الإفراد في **(وتلك نعمة تمنُها عليَ أن عبدتَ بني إسرائيل) الشعراء٢٢**، فإن الامتنان والتعبيد كانا من فرعون وحده (الزمخشري، ١٩٧٢م، ١٠٩/٣)، وقد جاء عند الفراء مثل هذا أيضاً (الفراء،١٩٨٠م، ٤٧٦/١- ٤٧٧)، وهم في ذلك يرفضون وجود المخالفة أصلاً بالرجوع إلى الواقع الخارجي.

وقد يسهم السياق اللغوي في تفسير هذه الظاهرة، ففي سورة الشعراء وقبل الآية السالفة نجد فرعون يتحدث بصيغة الجمع، فيقول لموسى **(ألم نربك فينا وليداً ولبثتَ فينا من عمرك سنين) الشعراء١٨**، ثم نجد بعدها **قوله تعالى (قال لمن حوله ألا تستمعون ٣٥ قال ربكم ورب آبائكم الاولين) الشعراء٢٥-٢٦**، فالموقف لم يكن فيه فرعون وحده، بل فرعون ومن حوله، ومن هنا ناسب الخطاب الجمع سواء من جهة فرعون، أم في رد موسى عليه، أما خطاب الإفراد من موسى لفرعون بالامتنان والتعبيد فلا يكون بالجمع لأنه ادعاء من فرعون وحده كما قال الزمخشري ومثل ذلك تخريج ابن جني لقراءة (لما آتيناكم) في **قول الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) آل عمران٨١**، فقد قرئت (لما آتيناكم) مناسبة للنبيين، قال: وأما (آتيناكم) بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظة الجماعة من النبيين جاء أيضاً مجموعاً تعالياً في اللفظ (ابن جني،١٩٦٩م، ١٦٤/١).

كذلك جاءت لفظة (الناس) وعاد اليها ضمير الجمع، ومرجعها الواقعي واحد في **قول الله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) آل عمران١٧٣.**

Original Article |DOI: https://doi.org/10.14500/kujhss.v3n2y2020.pp89-95

يرى الفراء في هذه الآية أن (الناس) في هذا الموضع واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، بعثه أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: ثبط محمداً أو خوفه حتى لا يلقانا ببدر الصغرى، وكانت ميعاداً بينهم يوم أحد، (معاني القرآن، الفراء، ٢٤٧/١)، ف (الناس) الأولى ترجع إلى نعيم بن مسعود.

وقال الأخفش إن المعنى بقوله (لكم) النبي صلى الله عليه وسلم، و(الناس) أبو سفيان (معاني القرآن، الأخفش، ٣٦٧/٢)، ومثل ذلك عند ابن خالويه **(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) البقرة١٩٩**، فالمعنى بـ (الناس) هنا إبراهيم عليه السلام (ابن خالويه، د.ت، ٢٣٨).

ويعرض أبو حيان هذا القول، كما يعرض قولاً آخر، وفيه أن اللفظ على ظاهره، فقيل: (الناس) الأول ركب من عبد القيس مروا على أبي سفيان يريدون المدينة للميرة فجعل لهم جعلا، وهو حمل إليهم زبيباً على أن يخبروا أنه جمع ليستأصل بقية المؤمنين، فأخبروا بذلك، فقال الرسول وأصحابه، وهم إذ ذاك بحمراء الأسد: حسبنا الله ونعم الوكيل، والناس الثاني قريش، وهذا القول عنده أقرب إلى مدلول اللفظ (أبو حيان، ١٩٨٣م، ١١٧/٣- ١١٨).

وقد جعل الزركشي ذلك من خطاب العام والمراد الخاص، وأضاف إلى ذلك آيتين أخريين، أولاهما **(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) البقرة١٣**، فقال: إن المعنى بـ (الناس) هنا عبد الله بن السلام، **والاخرى (إن اللذين ينادونك من وراء الحجرات) الحجرات٤**، على أن المعنى بـ (الذين) الأقرع بن حابس (الزركشي،١٩٨٨م، ٢٢٠/٣- ٢٢١).

على أننا لم نجد من يؤيده في الآية الأولى، ولا في الثانية، حيث قالوا إن المقصود بـ (الذين) فيها وفد تميم، وكان من بينهم الأقرع بن حابس (النحاس،١٩٨٥م، ٢١٠/٤)

ومثل لفظة (الناس) لفظة (الطائفة) في **قول الله تعالى (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) التوبة٦٦**، فقد قال الفراء إن (الطائفة واحد واثنان، وإنما نزل في ثلاثة نفر استهزأ رجلان برسول الله (ص) والقرآن، وضحك إليهما آخر، فنزل (إن نعف عن طائفة) يعني الواحد الضاحك (نعذب طائفة) يعني المستهزئين، وقد جاء (وليشهد عذابهما طائفة) النور٢، يعني واحداً، (الفراء،١٩٨٠م، ٤٤٥/١).

ونجد هذا عند الزجاج والنحاس إلا أنهما قالا إن المراد نفس طائفة (النحاس،١٩٨٥م، ٢٢٦/٢-٢٢٧) أي على تقدير الموصوف. وكذلك قال أبو حيان إن (المعنى عنه رجل واحد) (القرطبي١٩٨٩ل، ٣/٤- ٣١٢٤).

وقد جاء التعبير عن الواحد بلفظ (الرسل) و (المرسلون) أيضاً في **قوله تعالى (فناظرة بم يرجع المرسلون) النمل٣٥**، وكان الرسول امرأة واحدة على قول الفراء ويدل على أن الرسول واحد **قوله تعالى (فلما جاء سليمان) النمل٣٦**، أي: فلما جاء الرسول سليمان، **وقوله (ارجع إليهم) النمل٣٧**. (الفراء، د.ت، ٢٩٣/٢)، إلا أن ابن فارس والزركشي قالا إن المرسلين جماعة، وإن الخطاب بالأفراد في (ارجع إليهم) يحتمل أن يكون لرئيسهم (الزركشي،١٩٨٨م، ٢٣٧/٢).

وقد اختلفوا حول **قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) المؤمنون ٥١**، فقال الفراء، أراد النبي فجمع، كما يقال في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا آذاكم، (الفراء، د.ت،٢٣٧/٢)، ويتضمن هذا الخطاب عند الزجاج ان الرسل جميعا قد أمروا بذلك (النحاس،١٩٨٥م، ١٥/٤)، ويجعل الزمخشري الخطاب للرسل جميعا، وأن كل رسول خوطب به في زمنه، والمراد إعلامنا بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك، ويرى ابن المنير في قول الزمخشري هذا نفحة اعتدالية، ويقول إن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم أمرناه أزلاً، ولا يشترط في تحقق الامر ووجود المخاطب، فالرسل قد خوطبوا بذلك في الأزل (الزمخشري،١٩٧٢م، ٣٤/٣).

٥. الخطاب بالمفرد عن الجمع:

قال تعالى: (إنني براءٌ مما تعبدون) الزخرف٢٦، وقال العرب: نحن منك البراء والخلاء، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه: براء لأنه مصدر ولو قال: بريء لقيل في الاثنين بريئان، وفي القوم بريؤون وبرءاء (الفراء،١٩٨٠م، ٣٠/١). ومثل ذلك عند الله (غور) في **(إن أصبح ماءكم غوراً) الملك٣٠**، فهي عند الله مثل: الزور، والضيف: هؤلاء زور فلان، وهؤلاء ضيف فلان، وقوم عدل، وقوم رضا (الفراء،١٩٧٢م، ١٧٢/٣) ومثل (كافة) في **(وقاتلوا المشركين كافة) التوبة٣٦**، فإنها في مذهب المصدر مثل: الخاصة، والعاقبة والعافية (الفراء،١٩٨٠م، ٤٣٦/١) ومثله: (الدبر) و (نهر)، إن جاز جمعها، وقد جاء بمعنى الجمع في (سيهزم الجمع ويولون الدبر) القمر٤٥، و (إن المتقين في جنات ونهر) القمر٥٤، (الفراء،١٩٧٢م، ١١٠/٣).

وكذلك يقوم المصدر المفرد مقام المثنى والجمع عند أبي عبيدة، فيقال: رجل بور ورجلان بور ورجال بور وقوم بور (أبو عبيدة، ١٩٦٢، ٧٣/٢)، ومثله (غوراً) (نفسه، ٤٠٣/١- ٤٠٤)، و (زلفى) (نفسه، ١٤٩/٢- ١٥٠)، و (خلفة) (نفسه، ٧٠/٢- ٧٩)، و (براء) (نفسه، ٢٠٣/٢)، و (جذاذ) (نفسه، ٤٠٢/٢)، فكل أولئك يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث سواء أكان مصدراً أم بمنزلة المصدر، وقد استشهد على ذلك بالشعر (نفسه، ٧٩/٢- ٨٠، ٤٠٣/١- ٤٠٤).

ومثل ذلك عند الزجاج لفظة (جنب) في **قول الله تعالى (وإن كنتم جنباً فاطهروا) المائدة٦**، فهي مصدر عنده تقال للواحد والمثنى والجمع، قال: ومن العرب من يثنى ويجمع المصدر بمنزلة اسم الفاعل (الزجاج،١٩٨٨م، ١٦٩/٢).

وقد أجاز المبرد أن يعبر المصدر عن الواحد والجمع في مثل **قول الله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم) البقرة٧** (المبرد، ١٩٧٩م، ١٧١/٢). ومعنى السمع في الآية (الأسماع) (أبو عبيدة، ١٩٦٢، ٢٦٥/١)، وقد خرجها الزجاج هذا التخريج وأضاف إليه تخريجاً آخر، فقال إن السمع في معنى المصدر فوحد، كما تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضربكم فوحد لأنه مصدر، ويجوز إضافة السمع إليهم دل على معنى أسماعهم (الزجاج،١٩٨٨م، ٨٣/١)، فالمصدر على الوجه الثاني مفرد، لكنه يكتسب معنى الجمع من المضاف إليه.

وأضاف النحاس وجهاً ثالثاً وهو أن يكون فيه محذوف، أي: وجعلنا له ذوات سمع (النحاس،١٩٨٥م، ١٧٠/٤)، أو على موضع سمعهم (نفسه).

وقد وقف الفراء عند **قول الله تعالى (ثم أستوى إلى السماء فسواهنّ) البقرة ٢٩**، فقال إن السماء في معنى جمع، لذا عاد الضمير عليها في (فسواهن) لأن المعنى معروف أنهن سبع سنوات، وكذلك الأرض (الفراء،١٩٨٠م، ٢٥/١) وقال الأخفش: إنما ذكر السماء واحدة وذكرها دل عليهن كلهن، ثم أشار إلى قول بعضهم إن السماء معناها جمع ولفظها لفظ واحد وهي جمع مذكر كاللبن، وأنكر هذا القول، وجاء بقول ثالث هو أن يراد بها الجماعة، أي: كل سماء، كما تقول: هلك الشاة والبعير، يعني كل البعير وكل شاة (الأخفش،١٩٧٩م، ٥٤/١- ٥٥).

وعرض النحاس هذه الأقوال، وقال إنه يجوز أن يكون (السماء) جمعا كما ان السنوات جمع، كأن واحدة سماه وسماوة، وسماء للجميع (النحاس،١٩٨٥م، ٥٧/١).

ومثل ذلك (الريح) حيث يجوز أن يراد به الجنس فتعبر عن الواحد والجمع (الفارسي،١٩٨٣م، ١٩٧/٢-١٩٨)، وقد جاءت القراءات السبع بإفراد الريح

وجمعه في آيات كثيرة، من **مثل (وتصريف الرياح) البقرة١٦٤، (تذروه الرياح) الكهف٤٥، (الله الذي يرسل الرياح) الروم٤٨** وغيرها (ابن خالويه، ١٩٧١م، ١٧٣).

وأوضح مثال على هذه الظاهرة عندهم لفظة (الإنسان)، فقد جاءت مفردة وقصد بها الجمع، ومن هنا عاد إليها ضمير الجمع في مثل **قوله تعالى (إنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمةً فرح بها وإن تصبهم سيئةٌ بما قدمت أيديهم فإن الانسان كفور) الشورى٤٨**، واستثنى منها في كثير من آيات القرآن الكريم.

وقد وقف الفراء عند الآية السابقة فقال، والإنسان يكون واحداً وفي المعنى جمع فرد الهاء والميم أي في (تصبهم) على التأويل أي المعنى، ومثل ذلك **قوله تعالى (وخلق الإنسان ضعيفاً) النساء٢٨**، يراد به كل الناس، ولذلك جاز فيه الاستثناء وهو موحد في اللفظ **كقول الله تعالى: (إن الإنسان لفي خُسرٍ إلا الذين آمنوا) العصر٢،٣**، (الفراء،١٩٧٢م، ٣٦/٣) **وقال في (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا) التين٤،٦** عن الإنسان و إن كان واحداً، فإنه يراد به نفعل ذا بكثير من الناس، وقد تقول العرب : أنفق فلان ماله على فلان، وإنما أنفق بعضه، وهو كثير في التنزيل من ذلك قوله في أبي بكر **(الذي يؤتي ماله يتزكى) الليل١٨** ولم يرد كل ماله، إنما أراد بعضه (الفراء،١٩٧٢م، ٢٧٦/٣).

وأخذ الأخفش (الأخفش،١٩٧٩م، ٥٠٨/٢) الدليل على أن لفظة (الإنسان) في معنى الجمع من الاستثناء، إذ لا يستثنى من المفرد، وكذلك قال ابن خالويه ونقله عن المبرد (ابن خالويه، د.ت، ٤٣، ١٧٥)، وقال إن العرب توقع الإنسان على المذكر والمؤنث والواحد والجمع، ومن العرب من يقول ذلك في المؤنث والواحد والجمع، ومن العرب من يقول في المؤنث إنسانة قال الشاعر:

إنسانة تسقيك من إنسانها خمراً حلالاً مقلتاها عبه (نفسه، ١٣١)

وعلق على لفظة (الإنسان) التي جاءت مع لفظة (علق) في **قوله تعالى (خلق الانسان من علق) العلق٢**، قال الفراء، قيل: من علق، إنما هي علقة، لأن (الإنسان) في معنى الجمع، فذهب بالعلق إلى الجمع لمشاكلة رؤوس الآيات (الفراء، ١٩٧٢، ٢٧٨/٣).

ومن ذلك لفظة (أحد) في **قوله تعالى (فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين) الحاقة٤٧**، فقد قال الفراء إن أحداً تكون للجميع وللواحد (الفراء، ١٩٧٢م، ١٨٣/٣). وقال الأخفش ايضاً إن معنى (أحد) معنى جماعة (الأخفش،١٩٧٩م، ٥٠٧/٢)، وجعل أبو عبيدة (أحداً) تقع على الواحد وعلى الاثنين والجمع من الذكر والأنثى (مجاز القرآن، ٢٦٨/٢).

ولاحظ ابن قتيبة فيها معنى الجنس، وربطها بقول العرب، فلان كثير الدرهم والدينار، يريدون الدراهم والدنانير (ابن قتيبة،١٩٨١م، ٢٨٤).

وهناك ألفاظ تتفق في صورتها اللفظية تستعمل بنفس لفظها في الأفراد والجمع وقد جاءت من ذلك ألفاظ في القرآن الكريم، نبه الزركشي وابن قتيبة على بعضها (الزركشي،١٩٨٨م، ٢٣٣/٢) و (ابن قتيبة،١٩٨١م، ٢٨٤).

كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) البقرة١٧، و (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) الزمر٣٣، حيث إن لفظ (الذي) اتفق في معنى جمع وللأخفش رأيان: أولهما: أن (الذي) جعلت في معنى جمع بمنزلة (مَن) (الأخفش،١٩٧٩م، ٤٥٦/٢)، أي أنها مبهمة مثلها يوضحها ما بعدها، والرأي الآخر: أنها في معنى جمع كما يكون (الإنسان) في معنى (الناس) (نفسه، ٤٩/١)، أي أن المراد بها الجنس.

وللفراء (الفراء، د.ت، ١٥/١) أيضاً رأيان يجمع في أولها بين عودة (الذي) على المصدر (النفاق) ودلالة ذلك على الجنس، فيقول في آية البقرة إن المقصود بضرب المثل هو الفعل، فهو مثل للنفاق، وعلى ذلك جاز (ذهب الله بنورهم) بالجمع لأن المعنى يعود على المنافقين لا منافق واحد. أما الرأي الآخر فقد قاله في الآية الثانية وهو أن (الذي) غير موقت أي مبهمة فجاءت في معنى الجمع، واستدل على معنى الجمع بقراءة عبدالله (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به)، (الفراء، د.ت، ٤١٩/٢).

أما الأنباري فقد جعل (الذي) مثل (مَن) فهي تأتي مرة بمعنى المفرد ومرة بمعنى الجمع (الأنباري،١٩٨٠م، ١/ ٣٢- ٣٣)، وجعلها في الآية الثانية دالة على الجنس (الأنباري،١٩٨٠م، ٣٢٣/١).

وجمع العكبري رأيي الأنباري في رأي واحد، فقال إن المراد بـ (الذي) الجنس، فهي مثل: مَن، وما، فيعود الضمير إليها تارة بلفظ المفرد، وتارة بلفظ الجمع، وأضاف رأياً آخر هو أن المراد (الذين)، وحذفت النون لطول الكلام بالصلة (الأنباري، ١٩٨٠م، ٣٢/١-٣٣).

ويقول السيوطي إن (الذي) تجيء بمعنى (الذين) بكثرة إذا ضمنت معنى الجزاء في مثل (والذي جاء بالصدق)، وبقلة إذا لم تتضمن معنى الجزاء ومثالها آية البقرة وإنها مثل (مَن) تجيء للمفرد والمثنى والجمع (السيوطي،١٩٨٦م، ٢٨٥/١).

و (مَن) تكون مفردة في اللفظ ومعناها الجمع، وقد مثل سيبويه لذلك **بقول الله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة١١٢**، فقال : أجري الأول على لفظ الواحد، والآخر على المعنى (سيبويه،١٩٧٧م،٦٥/١)و وفي كتابه باب لاستعمال (مَن) بمعنى المثنى والجمع والمفرد يسميه باب إجرائهم صلة (من) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين)، وإذا عنيت جميعاً كصلة (الذين)، ويمثل فيه **بقول الله تعالى (ومنهم من يستمعون إليك) يونس٤٢**، على الجمع، وبقوله سبحانه **(ومن يقنت منكن لله ورسوله) الأحزاب ٣١**، (سيبويه،١٩٧٧م، ٦٥/١).

وقد جاء ذلك عند الفراء أيضاً، فقال عند ذكر قول الله تعالى **(أفمن كان على بينةٍ من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) محمد١٤**: لم يقل: واتبع هواه، وذلك أن (مَن) تكون في معنى واحد وجميع، فردت (اهواءهم) على المعنى، ومثله **(ومن الشياطين من يغوصون له) الأنبياء٨٢**، وفي موضع آخر **(ومنهم من يستمع إليك) الأنعام٢٥**، وفي موضع آخر **(ومنهم من يستمعون اليك) يونس٤٢** (الفراء، ١٩٧٢، ٥٩/٣).

ومثل ذلك ما جاء به عند الاخفش (معاني القرآن، الأخفش، ١٤٤/١)، وقد نبه أبو عبيدة إلى أن (مَن) تقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث (مجاز القرآن، ٢٦٨/١، ١٢٤/٢)، وقال الزجاج إن (مَن) لفظه لفظ الواحد فيوحد ويذكر، ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث (الزجاج،١٩٨٨م، ٧٨/١).

٦. الخطاب بالجمع عن المثنى:

جاء في القرآن ضمير المثنى عائداً على الجمع، ومن أمثلة ذلك **قوله تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) الأنبياء٣٠، وقوله سبحانه (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا أمسكهما) فاطر٤١، وقوله عزمن قائل (وحملت الأرض والجبال فدكتا) الحاقة١٤**.

نلاحظ في الآيات عودة ضمير التثنية على جمع معطوف على المفرد أو على مفرد معطوف على الجمع، فجمعت السموات والجبال وعطفت عليها الأرض وقد وقف الفراء

عن آية الحاقة، فقال إن لفظ: (الجبال) فيها جعل كالواحد، وكذلك السموات، وأجاز أيضاً أن يقال: (دكتا) لأن الجبال والأرض كالشيء الواحد (الفراء،١٩٧٢م، ١٨١/٣) ومعنى ذلك أنه يجعل كل لفظ من المعطوفين واحدا في مقابل ما عطف عليه.

ومثل ذلك ما قاله الأخفش في آية (فاطر) حيث ثنى الضمير مع أن السموات والأرض جماعة، فرأى أن الآية تجعل السموات صنفاً كالواحد (الأخفش،١٩٧٩م، ٤٤٨/٢).

ويتكرر قوله هنا في آية الأنبياء، فيقول: قال (كانتا)، لأنه جعلهما صنفين، كنحو قول العرب: هما لقاحان أسودان، ... وقال الشاعر:

رأوا جبلا فوق الجبال إذا التقت رؤوس كبيريهن ينتطحان (البيت بلا نسب في الأشباه والنظائر، ١١٦/٢). فقال رؤوس ثم قال ينتطحان، (الأخفش،١٩٧٩م، ٤١٠/٢). فهو يجعل ضمير التثنية عائداً على مثنى هو صنفا السموات والأرض، كما يستشهد بورود ذلك في أقوال العرب والشعر، وهو ما توسع فيه أبو عبيدة وجعل من ذلك قاعدة نحوية حيث وقف عند آية الأنبياء، فقال إن (السموات جميع والأرض واحدة، فخرج لفظ صفة الجميع على تقدير لفظ صفة الواحد ... والعرب قد تفعل هذا إذا كان جميع الاموات أو جميع الحيوان، ثم أشركوا بينه وبين واحد من الموات أو من الحيوان فجعلوا لفظ صنفها، أو لفظ خبرها على لفظ الاثنين (أبو عبيدة ،١٩٦٢، ٣٦/٢-٣٧)، ومعنى ذلك أن السموات جعلت كأنها مفرد لأن الأرض مفرد.

وكذلك يذهب أبو حيان المذهب نفسه فيقول في آية الحاقة إن الضمير قد ثنى في (فدكتا) وإن كان قد تقدمه ما يعود على ضمير الجمع، لأن المراد جملة الأرض، وجملة الجبال (أبو حيان ،١٩٨٣م، ٣٢٣/٨).

ولا يخرج عن هذا الرأي إلا الزجاج الذي يقول: إن السموات يعبر عنها بلفظ الواحد، لأن السموات كانت سماء واحدة، وكذلك الأرضون كانت أرضاً واحدة (الزجاج،١٩٨٨م، ٣٩٠/٣)

٧. الخطاب بالمثنى عن الجمع:

ومثاله قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الحجرات٩، حيث عاد ضمير الجمع في (اقتتلوا) على لفظ المثنى (طائفتان)وثم جاء ضمير المثنى بعد ذلك في (بينهما)، ثم **قال (فأصلحوا بين أخويكم) الحجرات١٠، ومثل ذلك قوله تعالى (إن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين) الأنعام١٥٦**، حيث عاد ضمير الجميع في (دراستهم) على (طائفتين)، ومثل ذلك قراءة ابن مسعود **(إذ همت طائفتان منكم إن تفشلا والله وليهما) آل عمرا ١٢٢**، فعاد ضمير الجميع في وليهم على طائفتان.

وجاءت لفظ (خصم) في **قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الحج١٩**، حيث عاد ضمير الجميع في (اختصموا) على مثنى (خصمان).

ومثل ذلك الجن والانس: وقد جاءا في **قوله تعالى (يا معشر الجن والأنس إن استطعتم أن تنفذوا) الرحمن٣٣**، حيث عاد ضمير الجميع في (استطعتم، تنفذوا، فانفذوا، أو تنفذون) على المثنى في اللفظ (الجن والأنس)، ومثل ذلك **(يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم) الأنعام١٣٠**.

وقد تنبه الفراء للظاهرة في تلك الآيات (الفراء،١٩٧٢م، ٢٨٥/٣) وقال إن التثنية على اللفظ والجمع على المعنى (الفراء،١٩٧٢م، ١١٦/٣). وقال الأخفش **في (هذان خصمان اختصموا)** إنهما كانا حيين، وإن الخصم يكون واحداً أو جماعة (الأخفش،١٩٧٩م،٤١٤/٢) وإذا كان السياق الخارجي عنده هو المتحكم في تفسير الظاهرة، فإننا نجد ذلك أيضاً عند الفراء الذي جعل الأحد ومن ذلك أيضا ما يختص بأعضاء جسم الإنسان، فقد يحتوي جسم الإنسان على عضو واحد منها مثل : القلب، اللسان، والأنف، وقد جاء (القلب) مجموعاً مع قصد تثنيته في **قوله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) التحريم٤**، وقد يحتوي جسم الإنسان على اثنين من الأعضاء مثل : اليدين، الأذنين، الرجلين، وقد جاءت اليدان مجموعاً في **قوله تعالى (والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما) المائدة٣٨**، مع قصد التثنية وقد فرقوا بين النوعين بالتناول.

وقد سأل سيبويه الخليل في مثل ذلك فعلله بأن المثنى جميع، وهو مثل قول الاثنين: نحن فعلنا ذلك، وأن ذلك جائز فيما هو شيء من شيء وما هو منفرد (سيبويه،١٩٧٧م، ٤٨،٤٩/٢)، وعرض سيبويه ذلك في باب سماه (باب ما لفظ به مما هو مثنى، كما لفظ بالجمع) (نفسه، ٦٢١/٣، ٦٢٢)، فقال: إن يكون في الشيئين كل واحد منهما بعض الشيء: تفريقاً بينه وبين ما يكون مثنى بذاته، وهم يفعلون ذلك لما هو مثنى بذاته أيضاً.

وما وجدناه من غموض في كلام سيبويه نجده في تعليق الأخفش على **قول الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) التحريم٤**، حيث يقول (فجعله جماعة لأنهما اثنان من اثنين (الأخفش،١٩٧٩م، ٥٠٣/٢)، أي قلبان من انسانين، ويقول في موضع آخر إن (من كلام العرب أن كل شيئين من شيئين فهو جماعة) (نفسه، ٢٢٩/١)، أي أن (قلوبكما) جاءت جمعاً لأنها تعبر عن قلبين (شيئين) من شخصين (شيئين) فوصلت بذلك إلى الجمع.

أما أبو عبيدة فإن (أيديهما) عنده في معنى (يديهما) المثنى، أي أنها جمع والمقصود به المثنى، ويعلل ذلك بأن العرب تفعل ذلك فيما كان من الجسد (أبو عبيدة، ١٩٦٢م، ١٦٦/١) فهو أبو عبيدة يطلق المسألة ولا يقيدها بما قيدها به النحاة.

أما الفراء فيقول: إن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعدا جمع، وقد يجوز هذا فيما ليس من خلق الإنسان، ومن النحويين من كان لا يجيزه إلا في خلق الإنسان وكل سواء (الفراء،١٩٨٠م، ٢٠٦/١-٢٠٧).

وقال الأنباري إن ذلك جائز في كل عضو ليس في البدن منه إلا عضو واحد (الأنباري،١٩٨٠م، ٤٤٦/٢)، أما مجيء (أيديهما) بالجمع والمراد (أيمانهما) فهي عنده قراءة شاذة، لأن ما كان في البدن منه عضوان فإن تثنيته على لفظ التثنية، ولما كان معنى (أيديهما) أيمانهما والإنسان ليس له إلا يمين واحدة نزل منزلة ما ليس في البدن منه إلا عضو واحد، فأتى في تثنيته بلفظ الجمع (الأنباري،١٩٨٠م، ٢٩٠/١-٢٩١)، والأنباري بذلك يريد أن تتسق القراءة مع القاعدة فيجعل المقصود باليد هنا (اليمين)، وليس في الجسد إلا يمين واحدة، ومثل ذلك ما جاء عند العكبري (العكبري، د.ت، ٣٥/١، ١٢٢٩/٢).وقد جعل أبو حيان الجمع أكثر من التثنية فيما كان في الجسم منه عضو واحد إذا أضيف إلى مثنى، لأنهم كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع، لأن التثنية جمع في المعنى (أبو حيان، ١٩٨٣زم، ٢٩١/٨)، ثم عاب على الزمخشري تسويته بين جمع (قلوبكما) و (أيديهما) فقال، لأن باب (صغت قلوبكما) يطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية، وهو ما كان اثنين من شيئين كالقلب و الأنف و الوجه والظهر، وأما إن كان في شيء منهما اثنان كاليدين والأذنين والفخذين فإن وضع الجمع موضع التثنية لا يطرد، وإنما يحفظ ولا يقاس عليه، لأن الذهن إنما يتبادر إذا أطلق الجمع لما يدل عليه، فلو قيل : قطعت آذان الزيدين فظاهره قطع أربعة الآذان وهو استعمال اللفظ في مدلوله (أبو حيان، ١٩٨٣م، ٤٨٣/٣).

وأبو حيان في ذلك ينبه إلى أمن اللبس، فما كان في الجسم منه واحد لا يلبس إذا ثنى أو جمع، فيكون جمعه قياسياً، أما ما كان في الجسم منه عضوان فإن ما جاء منه مجموعا يحفظ ولا يقاس عليه لأمن اللبس.

من هذا النوع أيضا ما يجيء في اللفظ جمعا، وهو مثنى في الواقع الخارجي، **قوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) الأعراف١٤٥**، فقد قال الفراء والزجاج، إنما ذكر أنهما لوحان، ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح (الفراء،١٩٨٠م، ٣٩٤/١) و (الزجاج، ١٩٨٨م، ٤١٤/٢)، وكذلك قال القرطبي إنه يروى أنهما لوحان (القرطبي،١٩٨٩م، ٢٨١٠/٤).

وفي قوله تعالى **(فإن كان له إخوة) النساء ١١**، قال الاخفش إنه ذكروا إن الإخوة الاثنان (الأخفش،١٩٧٩م،٢٣٠/١)، وقال أبو عبيدة إنهما إخوان فصاعدا، والعرب تجعل لفظ الجميع على معنى الاثنين وتجعل لفظ الاثنين على معنى الجمع (ابو عبيدة،١٩٦٢م، ١١٨/١)، أما العكبري فيقول إن الجمع هنا معناه اثنان، لأن الاثنين يحجبان الأم عن السدس عند الجمهور، وهما عند ابن عباس لا يحجبان الأم، والاخوة جمع (العكبري د.ت، ٣٣٥/١).

فالأمر إذن يتوقف على المرجع الخارجي، فإذا كان الاثنان يحجبان الأم عن سدس الميراث، فإن المقصود بـ (إخوة) في الآية مثنى وهي جمع عبر عن المثنى وفي ذلك مخالفة للمطابقة، أما إذا لم يحجب الأثنان الأم عن السدس فإن المقصود بـ (إخوة) الجمع وليس فيها مخالفة للمطابقة.

٨. النتائج:

- حاول النحاة في كثير من الأحيان الابتعاد عن صورة المخالفة في الخطابات القرآنية بطرق مختلفة.
- النحاة أتوا بأدلة الشعر وأقوال العرب واستعمالاتهم اللغوية وبيان عاداتهم الكلامية لتوضيح هذه الخطابات المختلفة في القرآن لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.
- النحاة أتوا بتبريرات دلالية وسياقة ولغوية، وكذلك اهتموا بتفسير الظروف الخارجية والداخلية للآيات القرآنية.
- النحاة أتوا في بعض الأحيان بتبريرات جمالية، وأهمها المحافظة على الفواصل القرآنية.

٩. قائمة المصادر

الأنباري، أبو البركات كما الدين عبد الرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧)، (١٩٨٠م)، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت:٢١١هـ)، (١٩٧٩م)، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس الحمد، الكويت، ط:١.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، دار الهدى، بيروت، ط:٢.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، (١٩٦٩م)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، (١٩٨٨م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: ١.

الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر (ت: ٥٣٨)، (١٩٧٢م)، الكشاف، البابي الحلبي، د.ط.

الزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤)، (١٩٨٨م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، د.ط.

أبو حيان، اثير الدين محمد بن يوسف (ت:٧٤٥هـ)، (١٩٨٣م) البحر المحيط، دار الفكر، ط:٢.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(٢٨٥هـ)، (١٩٧٩م)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط:٢.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(٣٣٨هـ)، (١٩٨٥م)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط:٢.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، (١٩٧٧م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، (١٩٨٠م)، همع الهوامع، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت:٢١٠هـ)، (١٩٦٢م)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الخانجي، مصر.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: على محمد البجاوي، عيسى البابي، د.ت.

ابن فارس، أبو الحسين بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسى البابي، د.ت.

الفارسي، أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفارات (ت: ٣٧٧هـ)، (١٩٨٣م)، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: على النجدي ناصف وآخرين، الهيئة المصرية للكتاب.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (ت: ٢٠٧)، (١٩٨٠م)، معاني القرآن، الجزء الأول: تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، الهيئة المصرية للكتاب.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (ت: ٢٠٧)، (د.ت)، معاني القرآن الجزء الثاني: تحقيق: محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (ت: ٢٠٧)، (١٩٧٢م)، معاني القرآن الجزء الثالث: تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية للكتاب.

القرطبي، شمس الدين عبد الله محمد (ت: ٦٧١هـ)، (١٩٨٩م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الغد العربي.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت:٣٧٠هـ)، (١٩٧١م)، الحجة في القراءات، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط:١.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v3n2y2020.pp89-95